شرح الأربعين النووية

الحديث الثاني عشر

مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ

اللقاء الخامس عشر

الحديث الثاني عشر:

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ -ﷺ-: (مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ) حديثٌ حسنٌ، رواه الترمذي وغيره هكذا.

ترجمة الراوي:

من العلماء والزهاد الذين حفظوا لنا كنوز السنة والآثار النبوية أبو هريرة –رضي، ذلك الاسم الذي اقترن اسمه باسم رسول ربّ العالمين، لِما له من كثرة الرواية وعلو الكعب في الحفظ والإتقان على الصحابة أجمعين.

فلم يخل ديوان من دواوين الإسلام إلاّ واسمه فيه منقوش مرسوم، ولم يمض مجلس من مجالس الذكر والعلم إلاّ وكان لذكره نصيب معلوم، فدعوات المؤمنين له في كل عصر متوالية بالرضا والثناء والرحمات الغاليّة، لم يسمع به أحد إلاّ أحبّه قبل أن يراه، وما جلس إليه أحد فملّ حديثه ولقياه، جالسه أبو صالح السمّان من تابعي الكوفة الصالحين عشرين سنة؛ فما ملّ مجالسته، بل تمنّى عند موته أن يحظى بجلسة معه، فقال: "ما كنت أتمنى من الدنيا إلاّ ثوبين أجالس فيهما أبا هريرة".

✉ أبو هريرة أحد هؤلاء الفحول النوادر، الذين دخلوا التاريخ كما دخله الأكابر، فأناروا العقول وفتحوا البصائر، وهذبوا النفوس وأيقظوا الضمائر، وكيف لا يكون منهم وهو وارث العلم النبوي الشريف، الذي ضرب فيه بسهم وافر؛ حتى غدا ترجمان السنة وحافظها بلا منازع، كما كان عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ومفسره بلا مناطح.

✉وكان النبيُّ يُوجِّهه كثيرًا؛ فعنه أنَّ النبيَّ –ﷺ– قال له: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ".

✉ولم يكن –رضي الله عنه– يندفع للعلم وكثرة الرواية، ويتأخر عن العمل به كأهل الغواية، بل ضم إليه الخشية وكثرة التعبّد، وحسن السمت والتزهد، إذ العلم يهتف بالعمل، فإن استجاب وإلا ارتحل، كما يقول غير واحد من سلف هذه الأمة الصالحين.

✉وكان –رضي الله عنه– يصوم الاثنين والخميس تطوعاً، وكان هو وابن عمر يخرجان إلى السوق أيام العشر الأولى من ذي الحجة يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.

✉وكان –رضي الله عنه– أماراً بالمعروف ونهاءً عن المنكر، إذا رأى رجلاً ذا مال كثير يوصيه بإخراج الزكاة ويحذره من مغبة منعها، فنراه يقول: "إياك وأخفاف الإبل، إياك وأظلاف الغنم"، ثم يقول للرجل إني سمعت رسول الله – ﷺ – يقول كذا وكذا، ويسوق حديثاً وربما دخل إلى السوق على حين غفلة، فيرى الناس يغدون ويروحون وقد ألهتهم التجارة وتشاغلوا بالدنيا، فيوخز ضمائرهم بموعظة لطيفة وذكرى خفيفة، علهم يتذكرون وحتى لا ينسون، كما يروي الطبراني في الأوسط بسند حسن أن أبا هريرة مرَّ بسُوقِ المدينةِ فوقَف عليها فقال: " يا أهلَ السُّوقِ ما أعجَزَكم قالوا وما ذاكَ يا أبا هُرَيْرَةَ قال ذاكَ ميراثُ رسولِ اللهِ يُقسَمُ وأنتم ها هنا لا تذهَبونَ فتأخُذونَ نصيبَكم منه قالوا وأينَ هو قال في المسجِدِ فخرَجوا سِراعًا إلى المسجِدِ ووقَف أبو هُرَيْرَةَ لهم حتَّى رجَعوا فقال لهم ما لكم قالوا يا أبا هُرَيْرَةَ فقد أتَيْنا المسجِدَ فدخَلْنا فلَمْ نَرَ فيه شيئًا يُقسَمُ فقال لهم أبو هُرَيْرَةَ أمَا رأَيْتُم في المسجِدِ أحَدًا قالوا بلى رأَيْنا قومًا يُصلُّونَ وقومًا يقرَؤونَ القُرآنَ وقومًا يتذاكَرونَ الحلالَ والحرامَ فقال لهم أبو هُرَيْرَةَ وَيْحَكم فذاكَ ميراثُ مُحمَّدٍ – ﷺ –".

✉ومن أخلاق أبي هريرة العالية، التي بوأته المكانة السامية، كثرة برّه بأمه وملازمته إياها، فإنه –رضي الله عنه– لما سمع النبي – ﷺ – يقول: "للعبد المملوك المصلح أجران" قال: "والذي

نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله، والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك".
قال سعيد بن المسيب: وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها.

ومن صور بره بأمه أنه تمنى إسلامها وحرص عليه حتى أسلمت وكان سبباً في إسلامها.
أخرج مسلم عنه أنه قال: كنت أدعوا أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله – ﷺ – ما أكره، فأتيت رسول الله –ﷺ– وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله –ﷺ–: "اللهم اهد أم أبي هريرة"، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله –ﷺ–، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله –ﷺ– فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً.

ودعا النبيّ –ﷺ– لأبي هريرة، وهذه الدعوة أخرجها مسلم عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله: ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله –ﷺ–: "اللهم حبب عُبيدك هذا – يعني أبا هريرة – وأمّه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين"، فما خُلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

فوصل كرمه الضيفان وإعتاقه للعبيد وإحسانه للموالي وكفالته الأيتام، فأعتق من ماله الأغر بن سليك المدني بالاشتراك مع أبي سعيد الخدري الذي نزل الكوفة وصار من كبار محدثيها، وكانت له دار بالمدينة تصدق بها على مواليه إلى حسنات أخرى يضيق المقام عن عدها.

وكان –رضي الله عنه– إلى جانب هذا حريصاً على تربية أولاده، فقد ربى ابنه المحرر تربية علمية، جعلت كبار الرواة يحتاجون إليه ويروون عنه ما فاتهم من حديث أبيه كالشعبي والزهري، وكان يحمل ابنته على الزهد فيقول لها: "لا تلبسي الذهب، إني أخشى عليك اللهب، ولا تلبسي الحرير إني أخشى عليك الحريق".
وكان أبو هريرة طيب الأخلاق كريما، شديد التواضع. قال عبد الله بن رباح: سافرنا مع أبي هريرة فكان يكثر أن يدعونا للطعام إلى رحله. وقال أبو رافع: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة، فيركب حمارا ببرذعة، وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير، فيلقى الرجل، فيقول:

الطريق! قد جاء الأمير. وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب، فلا يشعرون حتى يلقي نفسه بينهم.

✉وكان رضي الله عنه شديد الخوف من الله. فعن ميمون بن ميسرة قال: كانت لأبي هريرة صيحتان في كل يوم: أول النهار وآخره، يقول: ذهب الليل وجاء النهار، وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمعه أحد إلا استعاذ بالله من النار.

❁فرحمة الله على أبي هريرة معلماً وهادياً، ومجاهداً وداعياً، وآمراً وناهياً، ورائحاً وغادياً.

منزلة الحديث:

هذا الحديث عظيم، وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها، وصيانتها عن الرذائل والنقائص، وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع.

قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل من أصول الأدب.

قال حمزة الكناني رحمه الله: هذا الحديث ثلث الإسلام.

قال ابن عبد البر رحمه الله: كلامه هذا -ﷺ- من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الألفاظ القليلة، وهو ما لم يُقْله أحد قبله، والله أعلم.

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: وهذا الحديث ربع الإسلام على ما قاله أبو داود، وأقول: بل هو نصف الإسلام، بل هو الإسلام كله.

وذكر الصنعاني رحمه الله: أن هذا الحديث من جوامع الكلم النبوية، يعمُّ الأقوال، ويعمُّ الأفعال.

آداب الخير كلها، بل مدارُ الدين كله كما قال بعضُ العلماء على أربعةِ أحاديث: الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: " مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيَصْمُتْ". الثاني: قوله عليه الصلاة والسلام: "مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ". الثالث: تلك الوصية النبوية الغالية: "لا تغضب". الرابع: قولهُ عليه الصلاة والسلام: " لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ".

الشرح:

إن حرص المرء على سلامة دينه وحسن إسلامه وصحة إيمانه دليلٌ ظاهرٌ وآيةٌ بينة وبرهانٌ شاهدٌ على رجاحة عقله واستقامة نهجه وكمال توفيقه؛ فدين المسلم هو دليله وقائده إلى كل سعادةٍ في حياته الدنيا وإلى كل فوزٍ ورفعةٍ في الآخرة لما جاء فيه من البينات والهدى الذي يستعصم به من الضلال وينأى به عن سبل الشقاء ومسالك الخسران، ولقد أرشد رسول الله –ﷺ–، وهو الحريص على كل خير لأمته الرؤوف الرحيم بها إلى أدبٍ جامع وخصلةٍ شريفة وخلقٍ كريم يحسن به إسلام المرء ويبلغ به الغاية من رضوان الله... وذلك ما جاء في الحديث الشريف قال–ﷺ–: "مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ".

حديثٌ نبويٌ عظيمٌ معناه: من حُسنِ إسلامِ المرءِ تَركُهُ ما لا يُفيدُه في دنياهُ وآخرته.

والنبيُّ –ﷺ– جَمَعَ الوَرَعَ كلَّه في هذا الحديث؛ لأنه يَعُمُّ التَّرْكَ فيما لا يعني؛ من الكلام، والنَّظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفِكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه نصيحةٌ شافِيةٌ في الوَرَع – كما قال ابن القيم رحمه الله.

"من حُسنِ إسلامِ المرءِ تَركُهُ ما لا يَعنِيهِ"

أساسٌ أخلاقيٌ متين، ومقياسٌ من مقاييس الأدب، ودليلٌ من أدلةِ الورع، ومظهرٌ من مظاهر التقوى.

قاعدةٌ سلوكيةٌ عَظيمةٌ، وخُلُقٌ جميلٌ تُحِبُّهُ النُّفُوسُ السَّوية، وسلوكٌ مُهذبٌ تميلُ إليهِ الفِطرُ السَّليمَةُ؛ يَرفعُهم عَن مراقبةِ النَّاس والتَّجسُسِ عليهم، والتَّلَصُّصِ على أخبارِهم، وَإيذَاءِهم بالتَّطفُّلِ على خُصُوصِياتِهم، وإحرَاجِهم بالأسئلةِ الثَّقِيلةِ؛ فهم في راحةٍ، والنَّاسُ مِنْهُمْ فِي أَمَانٍ إِنَّ حَلُّوا وإِن رحَلُوا.

من حُسنِ اسلامِ المرءِ عَدَمُ الاسترسالِ معَ ما لا يُفيدُ، وتَركُ الخوضِ فيما لا يَنفعُ، وعدمُ التكلُمِ فيمَا لا يُخصه.

هكذا يعلمنا دينُنا العظيم: أن نحرص على ما ينفعنا، وأن ندعَ ما يُريبنا إلى ما لا يُريبنا، وأن نحبَّ لإخواننا ما نحبه لأنفسنا.

📂"من حُسن إسلام المرء" عدم تتبع العثرات والعورات، وترك الإلحاح بالسؤال، متى ذهب فلان؟ ومن أين جاء علان؟ بكم اشترى ومن أين ومتى؟ وكيف حصل ذلك؟ من أين لك هذا؟ وغيرها من أسئلة الفضول والتطفل التي لا طائلَ من ورائها سوى حرقِ الاوقات وفتح أبواب الشر، وجرُّ المرءِ للخوض فيما لا يُحسنه ولا يُتقنه ولا يعلمه، مما هو ليسَ داخلاً في تخصُّصهِ ولا مسؤوليته، الخوض فيما لا يجوز الخوض فيه من أحاديث الفواحش والشهوات ووصف العورات وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ونشر قالة السوء وبث الشائعات والأكاذيب والأخبار المفتريات، وقد يجتمع على ذلك ولغٌ بما يسمى بـ(التحليلات والتوقعات) المبنية في غالبها على الظنون والأوهام والمجازفات والجرأة على الباطل بتصويره في صورة الحق، وكل ذلك مما لا يصح توقعه ولا الخوض فيها ولا الاستناد إليه ولا الاغترار به ولا العمل بمقتضاه...

📂أن مِنْ طَبِيعَةِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَأَذَّوْنَ مِمَّنْ يَتَدَخَّلُ في شُؤُونَهُمُ الْخَاصَّةَ، ويتطفل على أخبارهم وتفاصيلِ حياتهم، وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ تَعَدِّيًا وقحاً عَلَى خُصُوصِيَّاتِهِمْ؛ جاء في الحديث المُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: "كُفَّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِك".

📂فكَمْ جَلَبَ الِاشْتِغَالُ بمَا لَا يَعْنِي مِنْ مَصَائِب! وكم تسبب في وقوعِ المشاكل والمَتَاعِب! وَكَمْ عَادَ عَلَى صَاحِبِهِ بالنَقْصِ والمعايب، وَمَا فَتَحَ الانسانُ عَلَى نفسه أَبْوَاب الإثمِ، وَمَا ظَلَمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ، بِمِثْلِ اشْتِغَالِهِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، وتَدخُلِه فيما لا يخصه، فكم من خُصُوصِيَّات أُشِيعَتْ، وَكم من صُدُورٍ أُوغِرَتْ، وَكم من ضَغَائِن حَلَّتْ، وَأُسَرٍ تَمَزَّقَتْ ثُمَّ تَفَرَّقَتْ، بسبب الِاشْتِغَالَ بمَا لَا يَعْنِي.

📂الْمُتَدَخِّلُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ أَقَلِّ النَّاسِ تَوْفِيقًا، وَمِنْ أَضْعَفِ الْعِبَادِ مُحَاسَبَةً لِنَّفْسِه، مهموم مغموم، يُلَاحَقُ الْخُصُوصِيَّاتِ، وَيَتبعُ الْأَخْبَار، ويَحْرِصُ عَلَى مَعْرِفَةِ تفاصيل حياةِ الآخرين، وَالْبَحْثِ فِي أَدَقِّ شؤنهم، وفي المثل المشهور: "من راقب الناس مات هماً".

📂ثم إن الانشغال بشؤون الآخرين لا بد أن يفضي إلى المشاكسات والمُلاسَنات، والدخول في دائرة الظنون والتكهُّنات، فيسيء أكثرَ مما يحسن، ويهدمُ أكثرَ مما يبني، وفي الحديث الصحيح: "وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخِرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم" صحيح الترمذي ،وفي صحيح البخاري: قال-ﷺ-: " المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه "، وقال -ﷺ-: " مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه المسلمِ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه، ومَن تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَه، يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيتِه "صحيح الجامع.

📂وحرصُ المرءِ على سلامةِ دينهِ وعرضهِ، وانشغالهِ بنفسه عن شؤونِ غيره، وتركهِ ما لا يعنيهِ، دليلٌ على رجاحةِ عقله، وكمال توفيقه؛ وَصَاحِبُهُ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا وأهنأهم نفساً، وأسلمهم قَلْبًا.

📂ولو تأمل العاقل جيداً لأدرك بوضوح أَنَّهُ لا يهتم بالصغائِر إلا صِغار العقول والهِمم، فكم من راحةٍ يجنيها المرء لو ترك التدخل في خصوصيات الناس وشؤونهم.

📂والمسلم حين يعي أهمية ترك ما لا يعنيه، ويؤمن بجميل ثمرات هذا الخلق الطيب، فلا بدَّ أنه سيحرص على أن يتخلق بهذا الخلق الجميل، قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[الشمس: 9-10]، وأما الطريق لتحصيل ذلك: فيبدأ بأن يقنع الانسانُ نفسَه أن السَّلامة لا يعدلها شيءٌ، وأنَّ انشغال الإنسان بما يهمه وينفعه من أمور معاشه ومعاده هو الأجدر والأولى به، وهو الأسلم لدينة وعرضه، وأنَّ النَّفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بضده، ثم يجاهد نفسه ويقومها، فإنما العلم بالتَّعلم، وإنما الحلم بالتَّحلُّم، وكم من عادةٍ طيبةٍ وسلوكٍ جميلٍ صارت طبعاً بالمجاهدة والتَّعوُّد، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[العنكبوت: 69].

📝لأن كَمالَ الإسلاَمِ والإيمانِ سَبِيلٌ مُوصِلٌ إلى الإحْسانِ، ومَنْ بَلَغَ هَذا المَقامَ راقَبَ اللهَ حَقَّ المُراقَبَةِ، وحَاسَبَ نَفْسَهُ حَقَّ المُحاسَبَةِ، فَإذا تَكلَّمَ ذَكَرَ أَنَّ اللهَ لَهُ سَمِيعٌ، وإذا سَكَتَ ذَكَرَ أَنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ، فَتَرَكَ مَا لاَ يَعنِيهِ مِنَ الأَقوالِ والأَفْعالِ، وفَرَّغَ نَفْسَهُ لِما يَهُمُّهُ فِي أُمورِ دِينِهِ ودُنْياهُ، وبِذَلِكَ يَكُونُ مِنَ الأَتْقياءِ، ويَنْدَرِجُ فِي سِلْكِ الأَولياءِ.

📣وقد ورد في هذا الحديث وصايا هامة، وفوائد جليلة، ومن ذلك:

أولاً: يرشد الحديث إلى خلق عظيم يدعو إليه كمال الإيمان وهو حفظ الجوارح وإبعادها عن كل ما لا طائل فيه ولا نفع؛ فيحفظ سمعه عن كل ما يوقعه في الغيبة، أو النميمة، أو فحش القول، أو التجسس، أو غير ذلك، استجابة لقول الله -جل وعلا-: (وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) [الحجرات:12].

📝ويحفظ لسانه من قول الباطل، واللغو، والكلام فيما لا يعنيه، قال-ﷺ-: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ" متفق عليه.

قال-ﷺ-: ""إذا أصبحَ ابنُ آدمَ فإنَّ الأعضاءَ كلَّها تُكفِّرُ اللِّسانَ فتقولُ اتَّقِ اللَّهَ فينا فإنَّما نحنُ بِكَ فإن استقمتَ استقمنا وإن اعوججتَ اعوججنا". صحيح الترمذي

قيل: معنى "تُكفِّر اللِّسانَ"، أي: تُنزِّلُ الأعضاءُ اللسانَ مَنزِلةَ الكافرِ بالنِّعمِ، "فتَقولُ"، أي: للِّسانِ، "اتَّقِ اللهَ فينا"، أي: كُنْ على خوفٍ مِن اللهِ؛ "فإنَّما نحن بك"، أي: إنَّنا مَجْزِيُّون بالثَّوابِ أو العِقابِ بما تقولُه مِن كلامٍ، وقيل: مُتابِعون لك في الخيرِ والشَّرِّ، "فإنِ استقمتَ"، أي: كنتَ مستقيمًا؛ بقلَّةِ الكلامِ ونطَقتَ بالكلامِ الطَّيِّبِ، والابتعادِ عمَّا فيه إثْمٌ؛ مِن غِيبةٍ ونميمةٍ وكذِبٍ، وانشغَلْتَ بذِكرِ اللهِ، "استقَمنا"، أي: تَبِعناك في تلك الفضائلِ والأجْرِ، "وإن اعوجَجْتَ"، أي: كنتَ مائلًا مخالِفًا للطَّريقِ المستقيمِ والهُدى "اعوجَجْنا"، أي: مِلْنا معك، وكنَّا بذلك مخالِفين لِما فيه الهُدى والصَّلاحُ.الدرر السنية

إنَّ التَّدخُّلَ فِيما لاَ يَهُمُّ الإنْسانَ ولاَ يَعنِيهِ رُبَّما يُبعِدُهُ عَنِ الجَنَّةِ ويُقْصِيهِ، فَعَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: ((تُوفِّيَ رَجُلٌ فَقالَ رَجُلٌ آخَرُ –ورَسولُ اللهِ –ﷺ–يَسْمَعُ–: أَبْشِرْ بِالجَنَّةِ، فَقالَ الرَّسولُ –ﷺ–: أَولاَ تَدْرِي؟ فَلَعلَّهُ تكلَّمَ فِيما لاَ يَعنِيهِ، أَو بَخِلَ بِما لا يُنقِصُهُ)) رواه الترميذي.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)[الأحزاب: 70-71].

قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله –: "حِفْظ اللسان عن لغْو الكلام، وحسبه ضررًا أن يشغل صاحبه عن ألوانٍ كثيرةٍ من الخير الذي يسمو به مقامه ويعلو به قدره وتشرف به منزلته وتطيب به حياته وتحسن به عاقبته".

قال ابن تيمية –رحمه الله–: "ولا سيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرءِ إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه".

إنَّ حِفْظَ اللِّسانِ مِمَّا لاَ يَعنِي الإنْسانَ يُجَنِّبُهُ الكَثِيرَ مِنَ الآثامِ، ويَدفَعُ عَنْهُ الضَّرَرَ، ويَقِيهِ مِنْ مَواطِنِ الخَطَرِ، بِهِ يَسلَمُ مِنَ العَطَبِ والزَّلَلِ، ويَنْجُو مِنَ الزَّيْغِ والخَلَلِ، وبِهذا يَسلُكُ طَرِيقَ النَّجاةِ، وخِلاَفُ ذَلِكَ شُرودٌ وتَخَبُّطٌ فِي كُلِّ اتِّجاهٍ، فَعَنْ عُقبةَ بنِ عَامرٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسولَ اللهِ مَا النَّجاةُ؟ قَالَ: "امْسِكْ عَلَيكَ لِسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بَيتُكَ، وابكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ" صحيح الترمذي.

وقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ ارتَقَى الصَّفا فأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقالَ: يَا لِسانُ قُلْ خَيْراً تَغْنَمْ، واسكُتْ عَنِ الشَّرِّ تَسلَمْ مِنْ قَبلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ -ﷺ- يَقولُ: "أكثرُ خطايا ابنِ آدمَ في لسانِه"صحيح الترغيب، وجَاءَ فِي أَثَرٍ عَنْ عِيسى -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- قَولُهُ: ((لاَ تُكْثِروا الكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُم، فَإِنَّ القَلْبَ القَاسِي بَعِيدٌ مِنَ اللهِ، ولاَ تَنظُروا فِي ذُنوبِ النَّاسِ وانظُروا فِي عُيوبِكُم؛ فَإِنَّ النَّاسَ مُبتلىً ومُعافَى، فارحَموا أَهلَ البَلاَءِ واحمدوا اللهَ عَلَى العَافِيَةِ)).

ويحفظ بصره عن خائنة الأعين، والحسد، والنظر إلى ما لا يحل له، وليتذكر قول الله -جل وعلا-: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر:19].

يقول الحسن -رحمه الله-: "من علامة إعراض الله -تعالى- عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه".

وقيل للقمان -عليه السلام-: ما بلغ بك ما نرى؟ يريدون الفضل. فقال: "صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني".

فكلما كان المسلم حريصاً على تنزيه تلك الجوارح كان ذلك علامة على شغله بنفسه وتقويمها ومجاهدتها، وإبعادها عن كل ما لا ينفعها. والعكس صحيح.

ثانياً: فيه إشارة إلى أن الناس ينقسمون في دين الله إلى قسمين: قسم حسُنَ إسلامُه، وقسمٌ آخر ساءَ إسلامه.

فمن كان حريصاً على الخصال الحميدة والأعمال الطيبة وابتعد عن أراذلها دلَّ ذلك على حسن إسلامه، أما من كان حريصاً على الخصال والأعمال السيئة كان ذلك دليلاً على سوء إسلامه.

قال الشافعي: "ثلاثة تزيد في العقل: مجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعني".

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "إن من لم يترك ما لا يعنيه، فإنه مسيء في إسلامه".

ثالثاً: فيه توجيه لطيف إلى أهمية الوقت، وهو عمر الإنسان الفعلي في هذه الدنيا، وأنه يجب الحرص على استثماره في النافع من القول والعمل، والبعد عن كل ما لا فائدة فيه، قال –ﷺ–: " نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ " أخرجه البخاري.

رابعاً: يجب على المسلم مجاهدة نفسه ومثابرتها، وتقوية عزيمته، في ترك كل ما لا يعنيه، فإن النفس بطبعها أمارة بالسوء، وإن لم تشغل بالخير والأمور النافعة شغلت بالشر والأمور الباطلة.

قال عمر بن عبد العزيز: "من عد كلامَه مِن عمله، قلَّ كلامه فيما لا ينفعه".

وقال معروف الكرخي: "كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله –تعالى–".

خامساً: يجب العلم بالأمور التي لا تعني ولا تعود بفائدة حتى يتجنبها العبد ويسلم من شرها وضررها الدنيوي والأخروي؛ كفضول الكلام في المجالس الخاصة والاجتماعات العامة، وتتبع عورات المسلمين والتفتيش عنها، والتجسس عليهم، والتنصت على حواراتهم، والسؤال عن أحوال الناس وأمورهم الخاصة من غير سبب، وأيضاً التوسع في فضول المباحات من زينة الدنيا ومتاعها والمبالغة في ذلك، والتساهل في نقل الأخبار والإشاعات والقصص الكاذبة، وغير ذلك من الأمور الضارة.

سادساً: يجب معرفة الأمور الواجبة التي ينبغي الاهتمام والعناية بها مما دل عليه الشرع الحنيف، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصيحة المسلمين، والدعوة إلى الله بالأسلوب الحسن، وتربية الأولاد، وحمايتهم من الأفكار المنحرفة والأعمال المحرمة، والحرص على مصالح المسلمين العامة والخاصة، وغير ذلك مما وجه إليه الشارع الحكيم.

سابعاً: الترويح عن النفس والمزاح المشروع مع الأهل والإخوان، وتطييب قلوب المسلمين وإدخال السرور عليهم –إذا كان ذلك في حدود الحاجة– هي من الأمور المباحة والمهمة في تأليف القلوب وتقاربها وزيادة المحبة في النفوس، فإن النفس جبلت على محبة من أحسن إليها بالقول والفعل.

قال محمد بن عجلان: "إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن، وتسأل عن علم فتخبر به، أو تتكلم فيما يعنيك من أمر دنياك".

ثامناً: إن الحديث فيما لا يعني لا بد ألا يشتمل على محظور شرعي، أو يفضي إلى ترك واجب أو صد عن ذكر الله، وأن لا يؤدي إلى وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين، وأن لا يكون غالباً في كل الأحوال بل عارضا عند الحاجة له، وأن لا يكون فيه ضرر على مسلم أو ترويع له؛ لأن ذلك كله في أصله محرم.

تاسعاً: الحرص على التحري والتثبت والسلامة عند التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة مع انتشار الجوالات في أيدي الكبار والصغار، وكثرة البرامج التي يتواصل عن طريقها الناس، بالرسائل والمقاطع والنكات والكلمات والتعليقات وغير ذلك؛ لكون ذلك يؤدي إلى كثير من الشرور والآثام، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) [الإسراء:36].

وكم نحن بحاجةٍ ماسة إلى أن نفهم جيداً قواعد الإسلام وأنظمته العامة، فهذه القاعدة العظيمة: "من حُسنِ اسلامِ المرءِ تركهُ ما لا يعنيه": يفهمها بعض الناس فهماً خاطئاً، فيظن أنَّ على المرء أن ينأى بنفسه عن الناس، ويتقوقع في بيته، ويهجرَ بني مجتمعه، فلا ينصحُ ولا يُصلِح، وليس الأمر كذلك، فإن الإسلام دينٌ يربي المسلم على أن يكونَ فرداً إيجابياً نافعاً، ولبنةً صالحةً في مجتمعه، وإنما نهى الإسلام الإنسانَ أن يتدخل فيما لا يعنيه من شؤونِ الناس الخاصة، مما لا يُفيده في دنياه ولا أخراه، أو أن يتتبع عيوبَ الناس ونواقصَهم، لكن الإسلام العظيم يأمر المسلم أن يكون إنساناً صالحاً في نفسه، مُصلحاً لغيره، يحبُّ لأخيه ما يحبهُ لنفسه، قائماً لهُ بواجب النصحِ والإرشادِ، فالدين النصيحة، ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن غشنا فليس منا، ومن رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان، إلا أنه لا بدَّ للناصح أن يكون مُخلصاً في نصيحته، رحيماً في تعليمه، حكمياً في أسلوبه، قاصداً نفع المنصوح وفائدته، دون تشهيرٍ أو إحراج، فإذا فعل ذلك فلا يُعد ذلك تدخلاً فيما لا يعنيه، بل هو مأجورٌ مشكور، قال تعالى: (لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[النساء: 114].

فيجب أن نكون لبنةً صالحةً في مجتمعنا، ننأى بأنفسنا عن خصوصيات الناس، ونسعى بالصلح والإصلاح في عبادة ربنا، وخدمة أمتنا، ونفعاً لغيرنا.

ففي هذا الحديث توجيه لطيف من النبي -ﷺ-إلى كل مسلم ومسلمة أن يبتعد عن جميع الأمور التي لا تعنيه؛ فيدع ما لا يعنيه ولا يفيده في أمر دينه وآخرته.

واعلموا أن اهتمام كل واحد منَّا وانشغاله بما يعنيه أنَّ ذلك خير له في العاجل والآجل، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، ومن اشتغل بغيره من الناس نسي أمر نفسه، وأوشك اشتغاله بالناس أن يوقعه في أعراضهم.

كما أن انشغال المرء بنفسه مما يعينه على حفظ وقته الذي هو رأس ماله، فيبادر إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، والمسارعة في خدمة نفسه وأهله ومن حوله بما يثقل من موازين حسناته.

وكلما كان حريصاً على أن يدع ما لا يعنيه وأن يترك اللغو والفضول؛ كان ذلك أحفظ لوقته، وأسلم لدينه، ودليلا على كمال إسلامه.

وعلى كل واحد منا أن يشتغل بما يهمه وينفعه من أمور معاشه ومعاده، فإن العمر قصير، والناقد بصير، ومن نجح في استغلال وقته وأحسن تنظيمه؛ وجد لذلك من الثمرات ما لا يعد ولا يحصى، ولا يخفى على كل لبيب أن من العادات ما يكتسب بالتعود، فالعلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، وكم من عادة طيبة صارت طبعاً، وجنى الإنسان منها ثمرةً ونفعاً، فلنتق الله ولنجاهد أنفسنا في الله -جل وعلا-، حتى نفوز بنعيم الدنيا والآخرة.

مراجع:

1. من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه: عبد الله بن محمد الطيار.
2. من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه: عبد الله محمد الطوالة.
3. الدرر السنية .